"الفاصلة القرآنية"
طبيعتها الايقاعية وانواعها ووظيفتها

أ.د. زهير غازي زاهد*

لقد قرئ القرآن قراءات مختلفة ومنوعة منذ نزوله حتى هذا العصر. فقد قرئ نحوياً في كتب اعراب القرآن وقرئ لغوياً في كتب مجاز القرآن وغريبه وقرئ دلالياً في كتب معاني القرآن وتأويله، وقرئ قراءة شاملة في كتب التفسير على اختلاف مذاهبها وأساليبها، وقرئ صوتياً في كتب قراءات القرآن كما قرئ بلاغياً في دراسة أساليبه الفنية، ودراسة الفواصل هنا تتصل بظواهر نصه الإيقاعية والدلالية.

فالقرآن نص خالد والنص الخالد يكون مفتوحاً لقراءات منوعة إبداعية في العصر الواحد أو على مر العصور على أن تكون القراءة خلافية لا قراءة مضادة، وهو كما وصفه الإمام علي(ع) في قوله: "لاتفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد"(١)

القرآن يرتل ترتيلاً ويجود قارئه ويترنم في قراءته و"الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف"(٢) ففي قراءته قدرة على التأمل والتطريب لما في قراءته ونظمه من الإيقاع والموازين التي تظهر للقارئ المتأمل في نظم حروفه وتركيب كلماته وفواصله التي هي أواخر آياته وهي موضع الوقف عند قراءته.

ما هي الفاصلة القرآنية؟ وما الفرق بينها وبين السجع في النثر والقافية في الشعر؟

عرف ابو الحسن الرماني(٣٨٦هـ) الفاصلة قائلاً: "حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني.. والفواصل بلاغة والاسجاع عيب"(٣) فهو يرى أن السجع تتبعه المعاني فهو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه ، والفواصل تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها، وقد ذهب هذا المذهب ابو بكر الباقلاني واصحابه(٤٠٣هـ)(٤) وعرف بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) الفاصلة: "هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع"(٥).

والسجع في عرف ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ): "تماثل الحروف في مقاطع الفصول"(٦) وعرفه ابن الاثير (٦٣٧هـ) بأنه "تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد"(٧).

فالتعريفات متقاربة والمفهوم مختلف بين أصحاب إعجاز القرآن وبين البلاغيين . فأصحاب الإعجاز أرادوا أن يخصصوا للقرآن الكريم مصطلح الفواصل، ولما كان قسم من الفواصل القرآنية توافق السجع جعلها البلاغيون سجعاً، ويصر الباقلاني على نفي السجع في القرآن قائلاً : "ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن اساليب كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز .. والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم؛ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وأن لم يكن سجعاً.. لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع..."(٨) وذلك ماسبق في كلام الرماني.

فالفواصل وتشاكل مقاطعها جزء من الايقاع في النص القرآني والايقاع من خصائص النثر الفني وهو يختلف عن الايقاع في النص الشعري ففي النثر يكون إيقاعاً متوازياً متوازناً غير مطرد في المقاطع اللغوية. أما النص الشعري. فيكون الايقاع فيه متتابع المقاطع مطرد الايقاع حتى يتألف الوزن الشعري ويختم البيت بكلمة القافية التي هي خاتمة للايقاع الموزون في البيت، والحرف الملتزم المتكرر في قافية القصيدة يتوالى ويتكرر حتى نهاية ابيات القصيدة كالسجع الذي يتوالى في نهاية الجمل النثرية وكالفاصلة التي هي في نهاية الآية، لكن السجع والفاصلة قد يتكرر فيهما الحرف الملتزم وقد لايتكرر فلكل نوع من هذه الأنواع مصطلح اختص به ولا يعدم التشابه بينهما في تشاكل المقاطع كما لا يعدم الخلاف في أشياء منها كما سيتضح(٩).

والعرب قد عرفت الفصاحة والشعر والخطب كما عرفت السحر وسجع الكهان لكنها حين سمعت نصوصاً من القرآن يقرؤها الرسول عليه الصلاة والسلام انجذبت اليها وذهلت بها غير أنها حارت بحكمها

---

* قسم اللغة العربية - كلية التربية للبنات- جامعة بغداد.

(١) سنن الترمذي (كتاب ثواب القرآن- باب ما جاء في فضل القرآن) ،شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٨٨/١.

(٢) هذا القول للإمام علي(ع). البرهان للزركشي ٢٢٥/١، النشر في القراءات العشر لإبن الجزري ٢٠٩/١

(٣) النكت في إعجاز القرآن (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص٩٧

(٤) انظر كتابه إعجاز القرآن ٥٧..

(٥) البرهان في علوم القرآن ٨٣/١

(٦) سر الفصاحة- ابن سنان ١٦٣

(٧) المثل السائر ٢٧١/١

(٨) إعجاز القرآن ٥٧، ٥٨

(٩) حينما نذكر القافية في مقابل الفاصلة هنا نعني بها القافية الموحدة في الشعر العربي. أما في عصرنا هذا فقد فَقَدَ الشعر وحدة القافية بل فَقَدَ وحدة الوزن و تتابعه أيضًا وقارب النثر في القصيدة الإيقاعية التي يطلق عليها مصطلح "قصيدة النثر" تأثرًا بالمصطلح الغربي.

عليها. فما كان يقرؤه الرسول وتسمعه ليس شعرًا لكن فيه إيقاع الشعر وما يشبه القوافي ولجاذبية بيته لسامعه فيه تأثير السحر. وفواصله فيها شبه من سجع الكهان لكنها ليست اياها وليس فيها الغموض الذي في سجع الكهان، فمن آمن بالدعوة الجديدة آمن بانه منزل من عند الله إلا أنّ مشركي قريش وهم أهل فصاحة وخَطابة كانوا يفزعون الى شيوخهم في الفصاحة كما فزعوا الى الوليد بن المغيرة فتداولوا معه في امر النبي قرب موسم الحج وكيف يفرقون الناس عنه ويقنعونهم لينفضّوا مِنْ حوله، فقالوا: نقول هو مجنون، فقال لهم: يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم. قالوا: نقول هو شاعر، قال: هم العرب، وقد رووا الشعر وفيهم الشعراء وقوله ليس يشبه الشعر فيكذبونكم. قالوا: نقول كاهن، قال: انهم لقوا الكهان فاذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة فيكذبونكم ثم انصرف عنهم الى منزله، فشكّوا به فقالوا: صبأ الوليد -أي أسلم- وهم يخشون أن يسلم كبير منهم فيتبعه الناس، فأتاه ابن أخيه ابو جهل بن هشام بن المغيرة فأخبره بشك قريش به فأتاهم الوليد يلومهم على شكهم به ويلومهم على اتهام محمد بما ليس فيه ولا يصدقهم الناس بتهمته بالجنون او الكهانة أو الشعر، فقالوا: فكيف تقول يا أبا المغيرة؟ قال أقول هو ساحر. قالوا وأي شئ السحر؟ قال قد يكون ببابل من حذقه فرّق بين الرجل وامرأته والرجل وأخيه- وحديث آخر لعتبة بن ربيعة اذ جاء الى النبي يعرض عليه أموراً ليختار منها: المال أو الرياسة أو الجمال.. فلما انتهى من قوله قال له رسول الله: فاسمع (**بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل الرحمن الرحيم. كتاب فصلت آياته قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون. بشيرًا ونذيرًا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون**) [١-٤ فصلت] ثم مضى في قراءتها وانصت عتبة له وهو باهت، فلما عاد الى اصحابه أحسوا بتغيره فلما سألوه ما وراءك؟ قال: ورائي أني سمعت قولًا والله ما سمعت بمثله قط وما هو بالشعر ولاالسحر ولاالكهانة. يامعشر قريش، أطيعوني، خلو بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه..(١) فما كان جوابهم الا ان قالوا: سحرك بلسانه.

لقد كان للسانه ولما قرأه تأثير في نفس سامعه دفعه الى تصديق غرابة هذا القول حتى على فصحاء العرب ما جعل قومه يتصورونه سحرًا.

وحكاية أخرى في حديث ابي ذر الغفاري مع اخيه انيس حين عاد من مكة وقد لقي النبي وسمع شيئاً من القرآن، وسمع الناس يصفون الرسول بالساحر، قال انيس: تالله لقد وضعت قوله على أقراء(٢) الشعر فلم يلتئم على لسان احد وقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم .

ورُوي عن الوليد عقبة اذ سمع الرسول يقرأ : (**ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكّرون**) [٩٠- النحل] فقال: "والله إنّ له لحلاوة وانّ عليه لطلاوة وانّ أسفله لمعرف وانّ أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر"(٣).

كان هذا الاحساس والتصور لما في بنية الجملة القرآنية من حلاوة النغمة في تجويده وترتيله في قراءته(٤)، ولما يظهر الترتيل امكان ايحاءات اصواته وتأثيرها في نفس السامع جاءت الآية (**ورتل القرآن ترتيلًا**) [آية ٤- المزمل] وقول عبد الله بن مسعود: "جوّدوا القرآن وزيّنوه بأحسن الأصوات"(٥) واقوال اخرى في هذا المجال.. تظهر الإبداع فيما امتازت عبارته بهذا الايقاع الذي يتوازن في جمله ويختم في فواصل آياته، وفواصل الآيات هي موضع الوقف فيه ايضاً؛ ليتخذ صوت القارئ المجوّد مجاله في تلوين قراءته. فالفاصلة جزء من الايقاع في الآية، ولّما كان النص القرآني احتوى كل الوان الفصاحة لدى العرب ليتحداهم. فكل لون من الوان الفصاحة والابداع قد يجيده أديب واحد في الشعر أوالنثر، فالشاعر قد يجيد القول في الوصف أوالمديح أوالغزل أوالشكوى.. وكذا الخطيب أوالكاهن يجيد نوعاً من المعاني واسلوباً من القول، فالخطيب في اجادة جمله وايجازها والكاهن في تسجيعها وما يحيط بها من غموض.. لكن القرآن الكريم احتوى كل هذه الاجادات في معانيه التي شملت الحياة وما بعدها، وفي أساليب تعبيره وألوان ما تحتويه من بعض صفات الشعر كالفواصل التي تشبه قوافيه وكالايقاع المتوازن الذي له شبه بايقاع الشعر الموزون احياناً لكنها لا تطابق قوافي الشعر ثابتة في نهاية كل ابيات القصيدة وهي جزء مما سمي بعمود الشعر فاذا اختلف حرف الروي الملتزم عُدّ عيباً في القافية لكن الفواصل ليست كذلك ثم شبّه الفواصل بالسجع لكنها اختلفت عن سجع الكهان الغامض من جهة والمتكلف الممل في كثرة تكراره، وكأنه هو المقصود، أما السجع في الفواصل فقد جاء من دون تكلف لأنه تابع للمعنى مكمل له وتزيين لايقاع عبارته او هو لم يكن سجعاً لازماً بالمعنى البلاغي أي تكرار أصوات بعينها وانما يكون سجعًا في إيقاعه وموازنته أي تكون الفاصلة في وزن سابقتها الصرفي، كما سيأتي بيانه في انواع الفواصل.

---

(١) انظر الرسالة الشافعية- عبد القاهر الجرجاني (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ص ١٢٢-١٢٥، وانظر سيرة ابن هشام ٢٧٠/١

(٢) أي طرق الشعر وقوافيه.

(٣) الرسالة الشافعية ١٢٤- ١٢٥، دلائل الإعجاز للجرجاني ٣٨٨ وروي هذا الوصف للوليد إبن المغيرة في سيرة إبن هشام ٢٧٠/١

(٤) الترتيل كما روي عن الإمام علي(ع): "معرفة الوقوف وتجويد الحروف" النشر في القراءات العشر ٢٢٥/١

(٥) النشر ٢١٠/١

هذا ما جعل العرب يواجهون الرسول في بداية دعوته واصفين إياه بالشاعر أو الكاهن أو الساحر فلما لم يجدوا صدقاً في وصفه بالشاعر والكاهن تمسكوا بوصفه بالساحر لما في القرآن الكريم من جاذبية في سماعه تسحر سامعه وتبهره فيروح متأملاً معانيه الجديدة وأساليبه الجديدة ايضاً، فهو قد تضمّن انواع ابداع النصوص الفنية في نضجها .

لقد نفى القرآن الكريم السحر والشعر والكهانة عن الرسول، فنفى السحر بقوله تعالى: **(إنه فكّر وقدّر. فقتل كيف قدر. ثم قتل كيف قدر. ثم نظر. ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فقال إنْ هذا إلّا سحر يؤثر. ان هذا إلا قول البشر)** [١٨-٢٥ المدثر] ونفى صفة الشعر بقوله:**و(ماهو بقول شاعر قليلاً مّا تؤمنون. ولا بقول كاهن قليلاّ ما تَذكّرون)** [٤١- ٤٢ الحاقة] وقوله: **(والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لايفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات...)** [٢٢٤- ٢٢٧ الشعراء].

ونفي عنه الكهانة في الآية السابقة وفي قوله: **(فذكّرْ فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون)** [٢٩- الطور].

ان اصحاب الاعجاز ميزوا مصطلح الفاصلة في القرآن الكريم عن السجع في النثر ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة في تنزيه القرآن الكريم عن الوصف اللاحق بغيره من كلام الكهنة وغيرهم، والحق أن لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ولا فرق بين الفواصل التي تماثلت حروفها في المقاطع وبين السجع اذا لم يكن كله مسجوعاً.

فالقرآن الكريم نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعاداتهم وكان الفصيح من كلامهم لا يكون كله مسجوعاً لما في ذلك من التكلف والاستكراه والتصنّع ولا سيما فيما يطول من الكلام، كما ذهب ابن سنان[١].

وعلى عكس ذلك يقف الباقلاني في قوله: "والذي يقدرونه انه مسجّع فهو وَهْمٌ لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وان لم يكن سجعاً" وقد روى قول الرسول لمن خاطبه في شأن دية الجنين بكلام مسجوع: "أسجعاً كسجع الكهان؟" ثم قال: "وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن اجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر، لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر"[٢] لذلك جاء قول الرماني: "الفواصل بلاغة والسجع عيب".

لكننا نرى السجع جاء في القرآن الكريم حتى تأتي السورة كلها مسجوعة "كسورة الرحمن" و"سورة القمر"، وكذا جاء في في كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وكذا في كلام الصحابة وخطبهم.

أما قولي في الفواصل فهو أقرب إلى قول البلاغيين في أنّ قسماً منها كان سجعاً باعتبار أن السجع تماثل الحروف في مقاطع الفواصل، ولا أرى فائدة مما ذهب اليه الرماني والباقلاني واضرابهما في ان السجع عيب، وهما يؤكدان أنّ قسماًمن الفواصل سجع ولكنهما ينكران هذا المصطلح فيها تنزيهاً للقرآن الكريم. أليس القرآن الكريم نزل بلغة العرب وتحدى فصحاءهم أن يأتوا بمثله؟ **(قل لَئِنْ اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا)** [٨٨ الإسراء] وقوله: **("فأتوا بسورة من مثله")** [٢٣ البقرة].

كان هذا التحدي بالاتيان بمثله في تراكيبه ونظمه ومعانيه وغاياته على الرغم من أنه نزل بلغتهم وبما ألفوه من الفصاحة والبلاغة غير أنه جاء على غير ما ألفوا من نظم وتركيب؛ لأنه احتوى على كل فنون الفصاحة والنظم والتركيب للتعبير. فلماذا ننكر السجع في قسم من فواصله؟ فالبلاغيون لا يجعلون الخلاف بين مصطلحي فواصل واسجاع بل سجع بليغ وآخر متكلف. فالسجع البليغ مايطلبه المعنى ويستدعيه ومنه فواصل القرآن كما سيأتي الحديث[٣].

أنواع الفواصل:

تقسم الفواصل على نوعين :

أولها: الموازي، وهو ما اتفقت كلماته في تماثل حروف المقاطع، وهذا ما يمكن تسميته سجعاً، فالفواصل في القرآن الكريم هي من النوع العالي في البيان والفصاحة سواء أكانت الموازية أم المتوازنة والمتقاربة.

فمن النوع الاول قوله تعالى: **("في سدر مخضود. وطلح منضود. وظل ممدود")** [٢٨–٣٠ الواقعة] وقوله: **("إنّ الابرار لفي نعيم وإنّ الفجار لفي جحيم)** [١٣، ١٤ الانفطار] وقوله: **("والمرسلات**

---

[١] سر الفصاحة ١٦٦ وقد ذكرت ابن سنان يعرّف الاسجاع: "حروف متماثلة في مقاطع الفصول"

[٢] انظر إعجاز القرآن ٥٨. ولإبن الأثير كلام لطيف في هذا المجال قال: "لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع مطلقاً لقال: أسجعاً؟ ثم سكت.. نعلم أنه إنما ذم من السجع ماكان مثل سجع الكهان لا السجع على الإطلاق" [المثل السائر ٢٧٣/١ وانظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٢٦١.

[٣] انظر اسرار البلاغة للجرماني ص١٠، كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري ٢٦٠...، سر الفصاحة ١٦٣، ١٦٤، الاعجاز البياني للقرآن- بنت الشاطئ ص٢٥٨...

عُرْفًا. فالعاصفات عصفًا") [١، ٢ المرسلات] وقوله تعالى : **("والعاديات ضبحًا. فالموريات قدحًا. فالمغيرات صبحًا. فأثرن به نقعًا. فوسطن به جمعًا")** [١-٥ العاديات].

قد تساوت هنا بنيات الآيات وقرائن الفواصل (السجع) وذلك أقرب إلى ما ألفه العربي من مساواة أشطر الشعر ما أوهم خيالهم أنه شعر عند سماعه خصوصًا أنهم سمعوا بعضه موزونًا كأوزان الشعر كقوله تعالى: **(هيهات هيهات لما توعدون)**[1] [٣٦- المؤمنون].

وقد تطول إحدى قرائن الفاصلة كقوله تعالى: **(والنجم إذا هوى. ما ضلَّ صاحبكم وما غوى)** [١-٢ النجم] وقوله: **(خذوه فغلّوه.ثم الجحيم صلّوه. ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا فاسلكوه)** [٣٠-٣٢ الحاقة].

وقد تطول الآية أو قد تأتي قرائن الفواصل منوعة الطول كقوله تعالى: **(إنّ الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرًا. خالدين فيها أبدًا لا يجدون وليًا ولا نصيرًا)** [٦٤، ٦٥ الأحزاب] وقوله: **(طه. ما أنزلنا عليك القرآن عليك لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلاً ممن خلق السموات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهرْ بالقول فأنه يعلم السر وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأسماء الحُسْنَى.)** [١-٨ طه].

إن ما جاء من آيات أو بعض آيات موزونة قد انتظم إيقاع مفاصلها وتقابلت حركة وسكونًا لم تستمر في فقرات موحدة نغمية متتالية، تختم كل فقرة بأصوات متكررة منسجمة متوحدة الإيقاع والنغم كما هو في قافية الشعر.

وقد تجئ فقرات توازنت أو اتزنت مقاطعها ولكن تنّظمها وحدات متساوية الكم كأبيات الشعر ولا حرف واحد تختم به كما يختم به كل بيت في الشعر فهو الإيقاع في النثر. فإذا ختمت بكلمات ذات أصوات متماثلة فهو السجع وإذا كانت متقاربة أو متوازنة فهي الفاصلة.

النوع الثاني: المتوازنة المتقاربة:

وهو ما تقابلت مقاطعه وحروفه أو توازنت مقاطعه ولم تتماثل[2] كقوله تعالى: **(ونمارقُ مصفوفةً. وزرابيّ مبثوثة)** [١٥، ١٦ الغاشية].

وقوله:**(وآتيناهما الكتاب المستبين. وهديناهما الصراط المستقيم)** [١١٧، ١١٨ الصافات] وقوله تعالى:**(الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين...)** [٢-٤ الفاتحة] وكقوله: **(ق. والقرآن المجيد. بل عجبوا أنْ جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب.)** [١-٢ ق].

وقد تأتي فواصل سورة كاملة من هذا النوع المتوازن المتقارب كفواصل "سورة الحج" (عظيم، شديد، مريد، السعير، بهيج، قدير، القبور، منير، الحريق، للعبيد، البعيد،العشير، يريد، يغيظ، بريد...).

إن هذه الفواصل لا تأتي قوافي للشعر. فهذه هي فواصل وليست سجعًا.

فالفاصلة القرآنية قد تكون سجعًا كالنوع الأول المذكور وقد لا تكون سجعًا إذا لم تكن حروفها متماثلة وإنما هي متقاربة متوازنة كالنوع الثاني. وهذان القسمان من الفواصل قد يأتيان في النثر من دون تكلف فهي تابعة للمعاني، وهي الفصيحة وحسنة البيان، وقد يكونان متكلفين تتبعهما المعاني فهذه هي الضعيفة وليست حسنة البيان.

وظيفة الفواصل:

نستطيع أن نحدد ثلاث وظائف للفواصل القرآنية هي:

١- مناسبة المعنى في الآية فبها يتم معناها. فالفواصل المتمكنة هي التي يتقدم لفظها أو يتخلل لفظها ومعناها في الآية ثم تأتي الفاصلة تختم بها الآية بحيث لو لم تقرأ الفاصلة أو لو سقطت لاختل المعنى أو اضطرب فهم القارئ وهو ما يسميه أهل البديع "التمكين"، وفي الغالب تختم الآية بعبارة أو صفة يتصل معناها بدلالة الآية اتصالًا وثيقًا كقوله تعالى: **(إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون)** [٤- الحجرات].

إن عبارة (أكثرهم لا يعقلون) تناسب ما سبقها من الآية وبيان لحال من ينادون الرسول بأنهم لو عقلوا لما قاموا بهذا الفعل.

وقوله: **(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)** [٤٤- البقرة] كانت عبارة (أفلا تعقلون) تناسب دلالة ما قبلها من الآية التي أولها استفهام تعجبي من فعل غريب أن يأمروا الناس بشيء لا يفعلونه هم بنسيان أنفسهم مع أنهم يقرؤن الكتاب ولا يتدبرونه فالفاصلة استفهام لوم وعجب ايضًا.

وقوله: **(أو لم يروا إنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زرعًا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون)** [٢٧- السجدة] فاصلة الآية عبارة (أفلا يبصرون) فهي تناسب ما سبق من الآية وتتصل بها. فسوق الماء إلى الأرض المالحة يناسبه الإبصار لذا جاء بصيغة الاستفهام التعجبي.

---

[1] جاءت جملة من الآيات على أشطر من وزن الشعر وكان تعليل الباقلاني أن هذا غير مقصود والذعر ما قصد له وزاد على البيتين.انظر إعجاز القرآن ص٥١ وما بعدها.

[2] سر الفصاحة، ابن سنان ١٦٥، البرهان للزركشي ١٠٤/١، ١٠٥

وقوله تعالى: (**إني وجدت امرأة تملكهم وأوتِيَتْ من كل شيء ولها عرش عظيم. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون.**) [٢٣-٢٥ النمل]. نجد الفاصلة (لا يهتدون) متصلة بدلالة الآية اتصالا. فهم يسجدون للشمس من دون الله فصدهم الشيطان عن الهداية. أما فاصلة الآية الأولى فهي صفة العرش ولا يمكن استبدالها بأخرى ولا حذفها. أما فاصلة الآية الثالثة (تعلنون) فهي تتبادر إلى الذهن قبل النطق بها.

من هذا النوع من الفواصل الكثير في القرآن الكريم[1] وأكثر منها هي الفواصل التي تسبق بكلمة أو إشارة توحي بها أو يتبادر الذهن إليها كالفاصلة السابقة (تعلنون) بعد عبارة (تخفون). وكقوله تعالى: (**قم الليل إلا قليلًا.نصفه أو انقص منه قليلاً.أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً**) [٢-٤ المزمل].

وقوله: (**حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرًا وأقل عددًا. قُلْ إنْ أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدًا. عالِمُ الغيب فلا يُظهِرُ على غيبه أحدًا.**) [٢٤-٢٦ الجن].

وقوله(**وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**) [٣١- الأنعام] وقوله: (**فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) [٧٠- التوبة].

وهذا كثير في القرآن ويسميه البلاغيون التصدير. وهكذا يتبادر إلى الذهن لفظ الفاصلة من إشارة أو عبارة أو لفظ يناسبها ويلتئم معها أو يوحي بها ،من هذا النوع فواصل سورة الجن والمرسلات وكل السور المكية.

٢- قد تأتي الفاصلة بمعنى يضاف إلى معنى الآية ويؤكده بعد تمام معناها. كقوله تعالى: **أَفحكم الجاهلِيةِ يَبْغونَ ومَنْ أحسنُ من الله حكمًا لقومٍ يُوقِنون**) [٥٠- المائدة].

فالاستفهام الأول أنكر ما يبغونه من حكم الجاهلية ثم زاد عليها بالاستفهام الآخر (**ومن أحسن من الله حكما**) ثم جاءت الفاصلة (لقوم يوقنون) فحكم الله يختاره من يوقن ويؤمن به.

ويسمي البلاغيون هذا النوع (الإيغال)؛ "لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذ فيه وبلغ إلى زيادة على الحد"[2].

وقد يكون المعنى الإضافي يراد به زيادة التحدي وبيان منتهاه كما في قوله تعالى: (قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) [٨٨- الإسراء] فالفاصلة جاءت في جزء الآية بعد أن تم معناها ووضح بقوله (لا يأتون بمثله) ثم ختم ما يزيد المعنى معنى إضافيا.

وقد يكون في الفاصلة زيادة توكيد وفصل بين حالين كقوله تعالى مخاطبا رسوله الكريم في بني إسرائيل:(**إنّ ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم.فتَوَكّلْ على الله إنك على الحقّ المبين. إنك لا تُسمِعِ الصمّ الدعاء إذا ولّوا مُدْبِرينْ. وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تُسمِعُ إلاّ مَنْ يؤمنُ بآياتنا فهم مسلمون.**) [٧٨-٨١ النمل].

فالفاصلة الأولى (العزيز العليم) يؤكد القوة في الحكم والقضاء بينهم وتختم بالعلم بصيغة المبالغة، لتزيد الصورة وضوحا، والفاصلة الثانية بأمره بالتوكل لأنه على الحق وختمت بـ (المبين) لوضوحه فهو حق لا يخفى عليهم إن كانوا يصدعون للحق. وفي الثالثة الآية التي أوضحت الخطاب بأنه لا يسمع الصُمّ إذا أداروا ظهورهم للحق وجاءت (مدبرين) فاصلة لحال ضلالتهم. والأخيرة تواسيه، فالذين أصابهم العمى في بصائرهم لا يمكن هدايتهم فلا يسمع الحق إلاّ من آمن بآيات الله ودلائله والحق بين فهؤلاء (مسلمون).

كل فاصلة مستقرة في موضعها تختم الآية بما يؤكد مضمونها ويزيده وضوحا.

وقوله تعالى: (**إذ قال موسى لأهلهُ إنّي آنستُ نارًا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون**) [٧ النمل].

نجد الفاصلة (تصطلون) أوضحت ما يراد بالقبس من النار وهم يعيشون لحظات الحاجة إليها للتدفئة، لكن الفاصلة أضافت هذا المعنى مؤدية الغرض منها، فاستخدم موسى الفعل (آنست) ولم يقل: أبصرت، فحين رأى ما يشبه النار فرح والفعل آنس يعبّر عن هذا المعنى ثم أراد أن يتعرف على خبر ما تصوره نارا ليأتي لأهله (امرأته) بقبس منها لتقيهم البرد، فالفاصلة ختمت المعنى لما يراد من القبس مؤكدة إياه.

٣- وظيفتها الإيقاعية:

فهي بمثابة القفل الإيقاعي للآية وهي موضع الوقف الذي يستريح به القارئ المرتل للقرآن وهي التي ماثلت قوافي الشعر غير أنها اختلفت عن القوافي باعتبار أن نظام القافية في الشعر العربي القديم جزء من عمود القصيدة إلى جانب الإيقاع الموزون. فالقافية في الشعر حرف أو حروف وحركات يختم بها كل بيت من أبيات القصيدة. وقديما سميت القصيدة باسم الحرف الملتزم في نهاياتها فقصيدة لامية وقصيدة ميمية وأخرى دالية.. أما فواصل القرآن الكريم فهي خواتيم الإيقاع في الآيات وقد يتكرر الحرف الواحد في الفواصل وقد لا

---

[1] انظر البرهان للزركشي ١/١٠٨ وما بعدها.

[2] السابق ١/١٢٦

يتكرر كما مر ذكره وإنما تكون الفواصل متوازنة في إيقاعها من النوع الثاني (حميد، عزيز، منيب..) وهذا لا يكون في قصيدة الشعر إلا فيما سمي بالشعر المرسل ومع ذلك يظل فرق الإيقاع والوزن المعتمد على الكم قائما بينهما[١].

نجد معظم فواصل السور المكية خاصة ثابتة مستقرة هي جزء من الآية بنية ومعنىً يختم إيقاع نظم الآية بها كفواصل آيات "سورة الإخلاص" و"سورة الناس" وغيرهما. ولذلك توهمتها قريش قبل إسلامها شعرًا مرة وسجع كهان أخرى وهي تشبه قوافي شعرهم لكنها لا تطابقها؛ لأن الإيقاع في المقاطع اللغوية في الآية متوازنة وإيقاع بيت الشعر موزونة ووزنها مطابق لوزن الأبيات الأخرى من القصيدة. فهناك فرق في الوزن وفي نوع قافية الشعر عن الفواصل في القرآن، فمن السور ما جميع فواصل آياتها بإيقاع متوازن وموحدة الحرف في الفواصل مثل: (سورة القمر، سورة الأعلى، سورة الشمس، سورة الليل) ومنها ما أكثر فواصل حروفها موحدة "كسورة النجم" وعدة آياتها٦٢ منها٥٦ فواصلها موحدة الحرف و٦ متوازنة. ولحفظ الإيقاع في مقاطع الآية مع قريناتها كان أسلوب النص القرآني يلائم ذلك بطرق مختلفة:

فمرة بالتقديم والتأخير لبعض الأجزاء لتختم بالفاصلة المناسبة وأخرى بالحذف وأخرى بإيراد الجملة المعطوفة بنظام أخر وأحيانًا بتغيير بنية الكلمة.

أ- فمن التقديم قوله تعالى:**(إياك نعبد وإياك نستعين)** [٥- الفاتحة] بتقديم الضمير(إياك) ليوافق تقديم (إياك)الأولى، ثم مجيء الفاصلة (نستعين) مواصلة قريناتها السابقة (الرحيم) (العالمين) (الدين).. وهي أبلغ وأكثر توكيدًا من نستعينك وكذا قوله تعالى**(أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)** [٤٠-سبا] فهي أكثر توكيدًا وأعظم حكمًا من (يعبدونكم) أو (عبدوكم).

وقوله: **(ولقد جاء آل فرعون النذر)** [٤١- القمر] بتأخير فاعل الفعل موافقة لقرائنها. وقوله: **(ولم يكن له كفوًا أحد)** [٤- الإخلاص] تأخير اسم كان وهو فاصلة الآية لموافقة قرائنها.

وقد يقدم ما هو متأخر في الزمان كقوله تعالى: **(فلله الآخرة والأولى)** [٢٥- النجم] وقد يقدم الفاضل على الأفضل كقوله تعالى: **(فألقي السحرة سجدًا قالوا آمنا برب هارون وموسى)** [٧٠- طه] فقدم هارون وأخر موسى ليوافق الفواصل قبلها (الأعلى)(أتى) وبعدها (وأبقى)(الحياة الدنيا). وحينما يأتي الاسمان في درج الآية يكون(موسى وهارون) ١٢٢ الأعراف، ٧٥ يونس.

ومن التقديم قوله:**(فأوجس في نفسه خيفةً موسى)** [٦٧ طه].

ب- وقد يكون بالحذف أو الزيادة للفاصلة. كحذف ياء المنقوص المتصل بـ(ال) في قوله تعالى: **(عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)** [٩ الرعد] وقوله **(ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التنادِ)** [٣٢ غافر] وحذف ياء الفعل غير المجزوم نحو **(والليل إذا يسر)** [٤ الفجر] وحذف ياء الإضافة نحو **(فكيف كان عذابي ونذر)** [١٦القمر] ونحو **(فكيف كان عقابِ)** [٣٢ الرعد].

أو بزيادة ألف في نهاية ما اتصل بـ (ال) نحو **(وتظنون بالله الظنونا)** [١٠ الأحزاب] ونحو **(يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسولا)** [٩٦ الأحزاب] ونحو **(ربنا إنا أطعنا ساداتنا فأضلونا السبيلا)** [٦٧ الأحزاب].

فهذه الألف في قافية الشعر تسمى ألف الإطلاق أما في النثر فهي تنوب عن التنوين في النكرة عند الوقف نحو**(فلا يؤمنون إلا قليلا)** [٤٦ النساء] لكن هذه الألف لا تأتي مع المقترن بـ (ال) التعريف فجاءت هنا للفاصلة.

ج- باستعمال المفرد عن الجمع لموافقة قرينة الفاصلة ولاكتفاء المعنى أيضًا نحو قوله تعالى: **(إن المتقين في جنات ونهر)** [٢٤ القمر] أي أنهار رعاية للفواصل قبلها وبعدها.

وقد تُزَاد هاء السكت للفاصلة نحو قوله:**(هاؤم اقرءوا كتابيه)** [١٩ الحاقة] **(إني ملاقي حسابيه)** [٢٠ الحاقة] (ما أغنى عني ماليه) [٢٨ الحاقة] كانت زيادة الهاء لتوازي الفواصل قريناتها في السورة ويتصل الإيقاع وتتوازن جمل الآيات في ذلك براعة الانسجام في نظمها.

أو التثنية عن الإفراد كقوله: **(ولمن خاف مقام ربه جنتان)** [٤٦ الرحمن] وقد جعل الفرّاء هذا من قبيل ما تحتمله القوافي من الزيادة والنقصان، ونظير ذلك قول الفرّاء ايضًا- قوله تعالى: **(إذ انبعث أشقاها)** [١٢ الشمس] وهما رجلان قُدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة[٢].

في الختام أقول: إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب في مرحلة نضجها وفيه ظواهرها وأساليبها التعبيرية مؤداة بأعلى نظم وانسجام بين أصواتها وتراكيب كلماتها ومواضع فواصلها على اختلاف أنواعها وألوان إبداعها، سواءٌ أكانت متساوية القرائن في سجعها لتكون شبيهة بقوافي الشعر إلا أنها ليست بشعر أو غير متساوية للتعبير عما تضمن النص من المعاني التي لا تنتهي بقراءة واحدة ولا بقراءات، ولا تنتهي بعصر ولا بعصور ما دام قراؤه ودارسوه على ظهر الأرض فتبقى القراءات فيه تختلف باختلاف العقول والثقافات، فذلك

---

[١] انظر البيان في روائع القرآن، تمام حسان ١٩٢/١، ١٩٣

[٢] انظر معاني الفرّاء ١١٨/٣، ٢٦٨

كله مقبول يدل على خلود نصه وحيوية نظمه ومضامينه فلا تملّ قراءته ولا تنتهي عجائبه ولا يقصر الفكر والعقل من استنباط دلالاته ولا التأمل لاكتشاف أشياء من عوالمه.

إن صفاء العربية وتمكن الفصاحة في المبدع يفسح المجال له للتصرف باللغة بما يناسب مقام القول، هذا قيل في رؤبة بن العجّاج فكيف بفصاحة الوحي الذي هو أعلى الفصاحات العربية، لذا ينبغي أن لا نقرأ القرآن الكريم من خلال علم النحو مهما اتسعت آفاقه وإنما ينبغي أن نقرأ النحو من خلال النص القرآني فتبارك الله أحسن الخالقين.

المصادر والمراجع:

١- أسرار البلاغة- عبد القاهر الجرجاني- تحـ هـ.ريتر- مطبعة وزارة المعارف- استانبول ١٩٥٤.
٢- إعجاز القرآن- ابو بكر الباقلاني- تحـ احمد صقر- دار المعارف بمصر- ط٥ سنة ١٩٥٤.
٣- الإعجاز البياني للقرآن- بنت الشاطئ- دار المعارف بمصر.
٤- البرهان في علوم القرآن- بدر الدين الزركشي- دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٨.
٥- البيان في روائع القرآن- د.تمام حسان- مكتبة الأسرة- ٢٠٠٢ القاهرة.
٦- الرسالة الشافعية- عبد القاهر الجرجاني(في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحـ محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام- دار المعارف بمصر.
٧- سر الفصاحة- ابن سنان الخفاجي- شرح عبد المتعال الصعيدي- مكتبة محمد علي صبيح- القاهرة ١٩٦٩.
٨- سنن الترمذي- ط بولاق- مصر.
٩- شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد تحـ ابو الفضل ابراهيم – دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٥م– القاهرة.
١٠-كتاب الصناعتين- ابو هلال العسكري- تحـ علي البجاوي وابو الفضل ابراهيم- ط١ دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢.
١١-المثل السائر- ابن الأثير- تحـ الحوفي وطبانة- مطبعة نهضة مصر١٩٥٩.
١٢-معاني القرآن- ابو زكريا، الفراء-ج١ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٥ تحـ نجاتي والنجار- ج٢ الدار المصرية للتأليف- ج٣الهيئة المصرية العامة ١٩٧٢.
١٣-النشر في القراءات العشر- ابن الجزري- دار الكتب العلمية بيروت.
١٤-النكت في إعجاز القرآن- ابو الحسن الرماني (في ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف بمصر.

Qur’anic Pause

Prof. Zuhair G. Zahid
* Arabic Dept. – the College of Education for Women – Baghdad University

Abstract:

The Qur’anic pause is an intermingled signs in the phonetic syllables which is similar to assonance in prose.

Yet the Qur’anic miraculous specialists who work to formulate a special (pause term) for Holy Qur’an, since certain pauses cope the assonance so the rhetorician make them assonance.

The pauses varies forms are considered an integrated part of Qur’anic rhythm. The rhythm is considered as one of essential characteristic of the artistic prose.

Such rhythm is different from the poetic rhythm where by the rhythm is occurs in sequential stanzas and steady rhythm to compose the poetic rhyme. The recurrent letter in the poem rhyme is similar to the rhyme occurred sequentially at the end of the end of Qur’anic verse. But in the assonance and pause, the recurrent letter might and night not be repeated. There is a special term for each of them, and “rhyme” term here is equivalent in function with pause by which we mean the rhyme in the traditional Arabic poetry.